المبحث الثالث

المنطق الجديد

obeikandl.com

المبحث الثالث

المنطق الجديد

ثمة منطق نوعي جديد قد بدأ يسود العالم، ليس لأن العالم كله قد تحول إلى هذا المستوى التقني، ولكن لأن هيمنة هذه المراكز الحضارية الكبيرة قد هيأت لها قدرة التداخل مع أنساق العالم كافة الحضارية والعلمية ، متسلحة بمناهج بحوثها العلمية والتطبيقية لتسيطر على مختلف عملياتنا العقلية والإدراكية.

فأهم متغير نوعي حدث أن عملياتنا الإدراكية لم تعد قاصرة كما كانت في الماضي مقولاتنا العقلية ومشاهداتنا الحسية وخبراتنا الحدسية وتجاربنا الظاهرية. فقد خضعت هذه كلها لما عرف بالشك المنهجي ، ثم المحاكمة العلمية التي بدأت بالعلوم الطبيعية ثم سلكت طريقها التدريجي إلى صياغات العلوم الاجتماعية والإنسانية ، وحتى الفكر الوضعي تجاوزه العلم الحديث وحوله إلى "وضعية منطقية" كبديل عن "الوضعية العقلية" وقد تشابه على كثيرين الفرق بين تطور المجتمعات الإنسانية بالمعنى المادي ومتغيراتها ، النوعية بالمعنى التاريخي ، ونحن نشير في معرض التغير التاريخي إلى المعنى الثاني وليس إلى المعنى المادي "التطوري" وهومعنى تضمنته كتابات كل من ابن بطوطة(1302-1377م) حين بدأ بالربط بين الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية ثم أعقبه ابن خلدون(1332ـ1406م) ليدمج الظاهرتين في سياق المراحل الثلاث: النشأة والنضج والهرم أو الشيخوخة في محاولاته الأولى لوضع فلسفة التاريخ.

إن فحوى هذه الدراسات جميعا تؤكد على ضرورة فهم المجتمعات الإنسانية فهما ديناميكيا في إطار حركتها وليس سكونيا، فالسكونية تتعلق بما هو ثابت غير متغير وغير متحول ، والديناميكية هي "علم التحولات" وقد جمع ابن خلدون بين العلمين مقاما أي الثابت والمتحول في قراءته للمراحل التاريخية الثلاث المشار إليها وضمن نسق العمران البشري الطبيعي. ولا يمكن فهم المتحول، إنسانيا كان أم طبيعيا، دون

فهم القوانين الخاصة بصيرورته وهي قوانين أعادت صياغة العلوم الطبيعية والإنسانية ، ثم ركبت بينها كالكيمياء العضوية مثلا وصولا إلى رابط كلي منهجي يشد العلوم كلها إلى بعضها. ومن هنا بالتحديد تحدث "المقابلة المنهجية" بين كلي العلوم وكلي التركيب الكوني. ويقابل الكليين كلي الوحي، أو الكتاب المطلق الذي يهيمن بوحيه الإلهي على الوجود الكوني وحركته ، على ماضيه ومستقبله كما يهيمن على حاضره، أي على الصيرورة الكونية كلها.

أولاً: الفهم المنهجي والجمع بين القراءتين:

إذن فعودتنا مجددا إلى الكتاب الكريم للهيمنة به على الواقع تتطلب فهما شموليا للكتاب والواقع معا، وهو "**الفهم المنهجي**" الذي تأسس من أجله "**المعهد العالمي للفكر الإسلامي**" باعتبار الفهم المنهجي الكلي هو "**الغائب الأكبر**" عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة التي أخلدت في جملتها إلى "السكونية" بمعزل عن إدراك المتغيرات، كما أخلدت إلى "**تجزئة النصوص**" بدلا من قراءتها في كليتها.

أما كيفية قراءة القرآن في كليته فتماثل قراءة الكون الطبيعي في كليته، فهناك آيات طبيعية مبثوثة يكشف العقل نظامها الكلي وقوانين ارتباطها وصولا إلى منهجها، وكذلك الأمر مع آيات القرآن حيث يكتشف نظامها الكلي ووحدتها العضوية المنهجية ولعل هذا يفسر إعادة ترتيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لآيات الكتاب الكريم توقيفا ليتخذ الكتاب صفته المنهجية بأمر إلهي ﴿ **وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون* قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين**﴾ [النحل:102،101/16].

وأن التثبيت لا يكون إلا حدثا للتغلب على زلزلة المواقف ولهذا اقتران النزول بالأسباب دون أن تكون موجبة له في الأصل، والبشريّ في الأسلوب القرآني لا تكون إلا مستقبلية، ولهذا كانت إعادة الترتيب ليأخذ الكتاب المجيد وحدته المنهجية الكلية ، ليتوافق الكتاب الكريم مع مقتضيات الرجوع إليه والاستنباط منه مع نمو

العقل البشري حتى تتحقق الوحدة المنهجية التي تعني النظر في الآيات من خلال ناظمها الكلي وضوابط حركتها ، سواء في آيات الكتاب أو آيات الطبيعة ﴿**و آية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون* والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم* والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم* لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون**﴾ [يس:40/36] .

فالناظم الكلي ضابط للظواهر الكونية ، كبيرها كما هو ضابط لصغيرها فحتى الذرة لها فلكها وذلك يتمثل بدوران جزئياتها حول نواتها.

من هنا نبدأ .كما قلت .لنستعيد ارتباطنا المنهجي بالكتاب الكريم المطلق المحدود الآيات عدداً للكون اللامتناهي في جزئياته وتناول المطلق النسبي لأنه الوحي المهيمن على كل العصور ﴿**والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير* ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير**﴾ [فاطر:36/35] .

وما منا إلا ظالم لنفسه أو مقتصد، نتضرع إلى الله أن نكون من السابقين بالخيرات بإذنه فليس من عصمة لأحد بعد خاتم الرسل والنبيين وليس من كتاب آخر بعد القرآن وقد أحاطت الرسالة بكل شيء تبيانا وتفسيرا لكي نصل إلى هذه النتيجة التي نبدأ بها تعاملنا مع القرآن والسنة كان منطلقا "أسلمة المعرفة" أو إسلاميتها ، فقد قدرنا سلفا ضرورة أسلمة مناهج العلوم الطبيعية والإنسانية ومن خلال القرآن نفسه، لنجعل منها مداخلنا إلى فهم القرآن وهي عملية مزدوجة ومتبادلة التأثير ، فالقرآن يقوّم مناهج المعرفة من ناحية ، ومناهج المعرفة المقوّمة تساعد على الدخول بشكل أعمق في عالم القرآن الرحيب من ناحية أخرى وتعين على حسن فهمه ، وذلك هو منطق الجمع بين القراءتين ، الربانية والقلمية ، أو الغيبية والموضوعية ، أو قراءة الوحي وقراءة الكون ، كما أمرنا الله في أوائل الآيات نزولاً ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأوربك الأكرم* الذي علم الإنسان ما لم يعلم**﴾ [العلق:5.1/96] .

فمن خلال القراءة الجامعة بين آيات الوحي وآيات الطبيعة تتكشف أبعاد (التفاعل والصيرورة) الناسخة لكل سكونية في الفكر البشري لا تأخذ بسنن الكون ومنطق المتغيرات ﴿ **تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب**﴾ [آل عمران:27/3] .

إذن بالجمع بين القراءتين ، الربانية والقلمية البشرية ، وبالتأكيد على الصيرورة والتفاعل ، والمنطق التاريخي للمتغيرات ندخل إلى عالم الكتاب الكريم بمنهجية واضحة نتجاوز بها ما كان من إشكاليات دفعت . مثلا . بابن رشد لكتابة "**فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال**" ، أو دفعت الغزالي للهجوم على الفلسفة في "**تهافت الفلاسفة**" ورد عليه ابن رشد بـ "**تهافت التهافت**" ، أو بتحريم ابن الصلاح للمنطق ، أو محاولة استبدال الحد الأوسط في المنطق بحد من القرآن لدرء التناقض بين النقل والعقل في محاولات ابن تيمية ، بل لا بد أن تتم المجاهدة بكلية القرآن وليس بفقه أو علم أو قضايا جزئية تؤخذ مما ينتقى من الآيات .

إنه ليس المطلوب هو المجاهدة "**بمنهجية القرآن المعرفية**" بذات الوقت ، فأزمات مناهج العلوم المعاصرة كافة في شكل "**الجدلية العلمية**" و "**الوضعية المنطقية**" القائمة على "**النسبية والاحتمالية**" وكذلك أزمات الأنساق الحضارية العالمية وما فيها من صراعات إنما تنتهي إلى أزمة واحدة وهي "**الحالة التفكيكية**" لمناهج العلوم وأساق الحضارات بحيث عجزت الحضارة العربية المعاصرة عن "**التركيب**" الذي يستهدي بالضوابط الكونية التي فصلها القرآن المحيط بكل شيء .

فكان من نتائج هذا التفكيك مع العجز عن التركيب . علميا وحضاريا . أن تعززت الفردية الليبرالية العلمانية التي ترتد بالإنسان إلى ما كان عليه قبل الرسل . يفسد في الأرض ويسفك الدماء ، فيهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد .

ثانيا: إعادة صياغة العلوم :

إن الأولوية الأولى . الآن . هي إعادة بناء الشخصية الإسلامية عقلية ونفسية . فالعقلية تتنبي في إعادة بناء المعرفة الإنسانية ، والنفسية تعتمد على إعادة صياغة الفنون والآداب ، هذا على المستوى الإسلامي . وأما على المستوى العالمي ، فإن

الحاجة تبدو أشد إلى تحرير العلم ومناهجه مما أحاطته الوضعية و العلمانية به . والأمر لا يقتضي تأسيس علوم جديدة أو معارف مبتكرة تلغي معطيات العصر المعرفية و بناء أنساق حضارية جديدة ، ولكن لا بد من إعادة صياغة العلوم والمعارف وتوجيه أنساق الحضارات العالمية بأسلوب غاية في التحديد :يتلخص في تحويل العلوم الطبيعية من علوم جزئية وتفكيكية .كما هو عليه حالها اليوم . إلى علوم كونية وتركيبية تعنى بالظاهرة الطبيعية والإنسانية في مجالها الكوني كله والكشف عن ارتباطها بالله تعالى ، ولا تتوقف على الاقتصار على ما تكشف عنه مناهج وأدوات ووسائل البحث الموضعي أو الموضوعي المحدود ، فللنفس قواها الخارقة في عمليات الإدراك وفي تأثيرها السيكولوجي وحتى الفيزيولوجي على الغير ، وكذلك للطبيعة تفاعلاتها وصيرورتها ما بين حدّين لا متناهين في الكبر أو في الصغر ﴿ **إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كِبرٌ ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير * لَخلقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ [غافر:57.56/40] .

فالتصحيح المعرفي سواء وفق ما سميناه "**إسلامية المعرفة**" أو أية صيغة أو تسمية أخرى ينبغي أن تأخذ بأيدي الباحثين مباشرة من الاختبارات الجزئية للظاهرة الطبيعية أو الإنسانية إلى الاختيارات الكونية التي تشكلت داخلها ، فقوانين التشيؤ(الشيئية) العلمية المعاصرة لا زالت قاصرة دون بحث أي ظاهرة في كونيتها ، فغابت عنها الجدلية اللامتناهية في الخلق ، وتفاعلاته وصيرورته ، إخراج حي من ميت ، وإخراج ميت من حي ، وتنوع ناتج من مركبين هما الماء والتراب ووحدة ناتجة من مختلفين هما ماء عذب وماء فرات ومن كل تأكلون لحما طريا .

إن "**إسلامية المعرفة**" هي محاولة للخروج بالعلم والمعرفة من عنق الزجاجة والنهايات التي دخلت فيها نتيجة تجاهل الغيب وتناسي الإيمان بالله . ولذلك فهي تمثل في نظرنا عند ضبط منهجيتها وفهمها فهما علميا منهجيا ، حلا لـ "إشكاليات العلم المعاصر" نفسه على مستوى عالمي ، وترقية وتطويرا لبحوثه المنهجية ، وجعلها قادرة على أن تنتج فهما كونيا جديدا لفلسفة العلوم الطبيعية فهما يرتبط من خلال العلم بعقيدة التوحيد حيث يتأصل معنى الآية ﴿ **إنما يخشى الله من عباده**

العلماء﴾ [فاطر: 28.35] . ويتضح ولا تقتصر "إسلامية المعرفة" بهذا المعنى على الظواهر الطبيعية فقط والتي تستمد مؤشراتها الكونية من القرآن ، وإنما تمضي ليمتد نطاق البحث إلى الظواهر الإنسانية التي تتفاعل مع الظواهر الطبيعية .

فإذا كان العلم المعاصر يتفادى البحث في هذا الإطار الكوني أو يتفادى البحث في الظواهر المعقدة فإن مهمة "إسلامية المعرفة" . من خلال جهود العلماء والباحثين المسلمين . كسر هذا الحاجز .

بهذا لا يكون موقفنا من الآخر كلاميا لإبطال المنطق أو توفيقيا لفصل المقال أو درء التناقض بين العقل والنقل ، أو توفيقيا أو تلفيقيا ولكننا نخترق الآخر . على فرض اعتباره آخر . في مجاله العلمي وفي نسقه الحضاري . فهذا الدين قائم على كتاب منهجي مطلق ، ودعوة عالمية شاملة ، وحيث قصرنا نحن في الذهاب إلى الآخر بمنهجيتنا وعلومن ، غزانا الآخر بمنهجيته وعلومه مستصحبا نسقه ضد نسقنا لتتم الهيمنة على المستوى الحضاري ، فجاء الدفع من الخارج ليستثير فينا الارتباط مجددا بما لدينا من عالمية ومنهجية ، إذ لم يعد بمقدورنا أن ننغلق على أنفسنا في زمان كهذا كل شيء فيه عابر للقارات ونافذ إلى العقول والقلوب . أما كيف تنعكس منهجية "إسلامية المعرفة" على العلوم والمعارف الأخرى . فذلك ما سنتناوله لاحقا . إن شاء الله تعالى .

ثالثاً : الاجتهاد الجماعي والعمل الجماعي :

فهناك من المصلحين من تناول جانب التفسير وراح يستصفيه من الإسرائيليات والأساطير والخرافات وهو جهد ضروري ، وهناك من تناول طبائع الاستبداد السياسي ، وعالج البعض أصول الحكم وهو جهد مهم كذلك، وعرفنا من بين هؤلاء عدة مصلحين يمكن متابعتهم ومتبعة جهودهم الهامة في مصادر شتى عبر العصور .

غير أن مجموعة كبيرة من الناس ممن تقود بحوثهم وجهودهم الفكرية إلى إصلاح البنية الفكرية نفسها لم يعالجوا بعد إطار إصلاح مناهج الفكر ، وأعني بهم إولئك الذين يبحثون في علوم اللغة ومناهج الاجتماع والتاريخ وإشكاليات عصر التدوين المختلفة وحتى إلئك الذين يبحثون في إشكاليات مناهج العلوم المعاصرة بطريقة معرفية . ومن هنا تبدو وجاهة قولنا بضرورة (الاجتهاد الجماعي) لاكمفهوم يفترض إلغاء المميزات الإدراكية ولإستنباطية الفردية بين الباحثين فكل ميسر لما خلق له ولكن كمفهوم قائم على تكامل فروع البحث المعرفي ضمن الإطار الكلي لمعالجة الظواهر الإنسانية والطبيعية، فالباحث اللغوي الذي ينفذ إلى دلالات النص ويراجع استخداماته في مراحل تاريخية مختلفة يغني جماعية الاجتهاد ويضيف إليها ، كما يغنيها الباحث الآخر في ثقافات المجتمعات الرعوية و الزراعية جنبا إلى

جنب مع المحقق التاريخي وحتى عالم الآثار حين يختص الأمر بمراجعة تجارب الأقوام البائدة ، وقد رأينا أهمية تلك المساهمات التي قدمها كل من اين بطوطة وابن خلدون .

"**فالمنهجيــة**" تفترض بمنطقها الكلي تعدد المباحث وتكاملها لتشخيص الواقع الموضوعي والتعمق في فهم دلالات النص واسترجاع الموروث بطريقة تحليلية نقدية تستنطقه من داخله ، وعلى هذا النحو يأمل معهدنا (**المعهد العالمي للفكر الإسلامي**) أن تكون قناة قادرة على ربط الجهود العلمية المتنوعة والمتعددة والتنسيق بينها لتؤدي ثمرة جماعية تستجيب لكافة مشكلات الواقع على أن تثمر هذه الجهود أولا في تحقيق توجه "**إسلامية المعرفة**" داخل الفروع العلمية المختلفة وانطلاقا من الوحي كأسلمة علوم النفس والاقتصاد والاجتماع والعلوم الطبيعية . فهناك تأثير متبادل .كما ذكرنا . بين أسلمة هذه العلوم بالقرآن والسنة والدخول بها إلى القرآن فتستفيد العلوم من الوحي حلولا لمشكلاتها ويحسن المتعاملون مع النص فهمه وإدراكه من خلال تلك الأبعاد المعرفية وملاحظتها .

فإصلاح مناهج الفكر كمقدمة لتعليل الممارسات لا يقتصر بالضرورة على إعادة البحث في ذات المنطلقات التي تناول بها الأوائل القرآن والسنة وضوابط الاجتهاد ، فالضوابط نفسها تختلف الآن اختلافا كبيرا بحكم تطور مناهج المعرفة وأدوات البحث بما فيها البحوث المتعلقة بالطريقة الإدراكية للإنسان ، فثمة من يدرك الأمور في تعددها ومن يدركها في ثنائيتها المتقابلة ، ومن يدركها في وحدتها الجامعة وثمة من يعالجها بالتفسير الوصفي وهناك من يعالجها بالتحليل المعرفي . إن هذا (الاجتهاد الجماعي) المتسع لكل مركبات الواقع ومناهج المعرفة يقلص لدينا حالات الشعور بإمكانية الإصلاح عبر الجهود الاقتصادية في واقع مركب وشديد التعقيد ، وإننا لنقولها بصراحة أن تجاربنا .في المعهد . المحدودة بعشر سنوات تقريبا على مستوى العمل الجماعي وفي الإطار الفكري قد كشفت لنا بوضوح عمق الأزمة واتساعها وجعلتنا أكثر يقينا بضرورة الجماعية الواسعة في الجهد والاجتهاد ، فإذا كان هذا ملخص تجربتنا على صعيد الفكر فما بال التنظيم الذي يتأسس لتغيير

obeikandi.com

الواقع كله ، سياسيا وفكريا واجتماعيا واقتصاديا وفي واقع محلي وإقليمي ودولي معقد ، وفي إطار حضاري عالمي متغير ؟

إن مفهوم التنظيم "الأحادي" كثيرا ما يؤدي به لأن يتوهم أنه تجسيد للأمة وإرادتها ووعيها في إطار الحركة ، ولاشك أنه مفهوم يسيء تقدير الأمور أو لا يدرك تشعُّب المسؤولية وعمقها ، ولن تؤدي به الأوضاع لأن يكون بديلا عن الأمة في حركتها الجماعية بل سيتحول بالضرورة إلى فرقة ليست متميزة نوعيا ولكنها تضاف إلى عداد الفرق الموجودة المتصارعة القائمة منها أو البائدة .

وقد حذّر الله سبحانه وتعالى من سلبيات هذا التصور الممزِّق للأمة والمتعالي على وحدتها بالأحادية الضيقة فوجه أمره بتكوين الأمة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر بين أمرين يتصل كل منهما بوحدة الأمة وجماعية النظر والعمل ، فلم يطلق أمره بلا ضوابط فإذا كان سبحانه وتعالى يأمرنا في الآية[104] من سورة آل عمران بقوله ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ . فإنه قد سبقت هذه الآية بقوله تعالى ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا * وكنتم على شفاحفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**﴾ ثم أعقبها بآية أخرى ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم**﴾ [آل عمران:105.103/3] .

فالأحادية وادعاء تمثيل الأمة المسلمة في الوقت ذاته أمران لا يقرهما الوحي القرآني ولا السنة النبوية ويحذّران منهما لأنهما مدعاة للفرقة والانقسام ، فإذا سوغ بعضها ذلك بأنه يدعو إلى الخير فلتكن دعوته في إطار "التداخل النسبي" مع الأمة ، لا الانفصام عنها ، ومن خلالها وبالتكامل مع الجهود الجماعية واحترام الغير والتفاعل معه . كما أن القيام بالدعوة لا يسوّغ أن تكون الدعوة مخلة بالمبادئ الواردة في الآيات وهي الاعتصام الجمعي بالجماعة ووحدتها ، وعدم ، التفرق وألفة القلوب والأخوة وعدم الاختلاف إلى درجة التناقض والتمزق ، فالفئة ليست فرقة وإنما أطلق الله عليها صفة . امة . **(ولتكن منكم أمة)** لتكون أمة وطليعة في داخل الأمة التي

هي الأم لا تنفصل عنها ولا تتمايز ومن خلال الأمة مجتمعة تتم جهود الإصلاح وتثمر الجهود الجماعية .

وهناك في القرآن الكثير من الآيات التي تحذر من التفرق الذي ينتهي إلى تكوين الفرق ومن تقطع الأمر زبرا الذي ينتهي بدوره إلى التحزب والتعصب الذي يقود بدوره إلى التشرذم والتشيع ليصبح ﴿ **كل حزب بما لديهم فرحون**﴾ ونتيجة لهذه المحاذير لا يقبل الله سبحانه وتعالى بتأويل أمره إلى غير مدلوله في وحدة الأمة ، فإذا فعل البعض ذلك بينة حسنة وبقصد الإصلاح يقينا فإنه من جهة أخرى قد يفتح الباب ويعطي مشروعية للتحزّب فيستغلها آخرون دون ضوابط الجماعية التداخل النسبي مع الأمة وهذا ما حذر الله . سبحانه وتعالى . منه أيضا ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام(204) وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد(205) وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد(206) ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد(207) يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين**﴾ [البقرة:205،204/2] .

إن اكتشاف صيغة "العمل الجماعي" في إطار "وحدة الأمة" صار ضآلة المسلم لأنه بها يتوصل إلى تحقيق حالة الدخول في "السلم كافة" على المستوى الداخلي للأمة على الأقل وبه وتتحقق حالة الانتماء إلى الانتماء إلى الأمة كلها ويحال بينها وبين عوامل الفرقة أن تمزّق وحدتها .

ثم إن ما نعيشه من أزمات وإشكاليات معقدة ومركبة ، كظلمات مركبة ، تحتاج إلى مركب ، تفرض علينا جماعية الجهد ، فما من تنظيم أو فئة تستطيع الادعاء أن بوسعها الإحاطة بهذه الظلمات المركبة ، وتملك لوحدها النور المركب خصوصا وقد تخصصت العلوم وتمايزت لتخترق بمناهجها ووسائل بحثها مختلف الظواهر الاجتماعية والإنسانية مما كان في الماضي قاصرا على عالم موسوعي واحد يجمع بين معارف الطب والفلك والرياضيات والفلسفة والعلوم النقليّة في زمانه ، أو كما يقال بين علم الإلهيات وعلم الطبيعيات .

رابعاً : ضرورة البديل العالمي :

وقتها كان يكفي ذلك العالم الموسوعي أن يتفرد بمعارفه ، أما الآن فقد تشعبت مصادر المعرفة وتكاملت بذات الوقت ، فاقتضت بالضرورة الجهد الجماعي ، كما اتصلت الأنساق الحضارية بالمناهج العلمية وأصبح "البديل عالميا" خارج طاقة أي تنظيم أحادي مهما كانت قدراته ، ولهذا نؤكد على جماعية الجهد دون أن تلغي التميز في إطار التداخل النسبي للجماعة . أما الأخذ بمبدأ "الأحادية الفردية أو التنظيمية" فإنه سيؤدي بالتداعي إلى جملة من المخاطر تتوالد عن ذلك فتنتهي إلى نقيض ما قصدنا وإن حسنت النوايا . ولتوضيح ذلك يمكن ملاحظة ما يلي :

(1) تبدأ كل أحادية تنظيمية أو فكرية بالشعور بأنها مدعوة دون غيرها لإصلاح الأمور ، وهذا الادعاء يحمل في ذاته شعورا بامتلاك الحقيقة كاملة ، إما من خلال عدم الوعي على تعقيدات الواقع ، أو من خلال الجهل بالحقيقة نفسها حين تبسّط الحقائق على ذلك النحو وينتج عن ذلك حصر جهود الإصلاح في برامج تحتوي على مبادئ تبسيطية مخلّة ليسهل تناولها على الأفراد المدعوين للانتساب ، ولو على أمل تطوير مداركهم لاحقا داخل التنظيم .

وينتج عن ذلك أن يسبق التنظيم الفكر نفسه ، فيتحول الجهد من التنشئة الفكرية والتربوية إلى "التلقين" التبسيطي الذي يختزل المشاكل في البرامج ، ويركز البرامج في الشعارات ، ويؤدي هذا بالضرورة للبحث عن مصادر فكرية فيما هو قائم وسائد في محيط التنظيم وحده ، وذلك ما ينمي روح الاتباع العضوي والتقليد خلافا لما وجهنا الله سبحانه وتعالى . إليه ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا**﴾ [الإسراء:36/17] .

فتغيب حاسة النقد المنهجي وقدرات الاستنباط وتتكرس حالة التقليد ، فتتحول عناصر الحرجة إلى " كل كمي " وليس إلى " كل نوعي " فيستعاض عن الفكر والتدبر بادعاء عصمة القيادة التي تحتل موقع " **الرأس**" **من التنظيم الهرمي** ، بذلك

لايفتح الطريق أمام التعصب فقط وإنما يضع الإنسان نفسه قائدا أو متابعا وليس هناك ثالث .

(ب) وهذا الشكل التنظيمي الذي ينتهي يدعى بالضرورة تجسيد الحقيقة وتمثيل الأمة من شأنه " نفي الآخر " داخل المجتمع المسلم ،بل وتكفيره وتجهيله فإنه يبدأ في فريضة إظهار الإسلام من جديد ، متناسيا أن هذا الإسلام قد بدأ به خاتم النبيين . صلى الله عليه وسلم . وأنه قد استوعب مليارات من المسلمين وعلى امتداد أربعة عشر قرنا ،فلا يمكن أن تستوعبه . كله جماعة أو هيئة أو حزب أو فرقة أو تنظيم أو حكومة مهما كانت الصفات التي تتصف بها نفسها فالمسلمون مهما كانت جوانب انحرافاتهم وأسباب ضعفهم يعيشون . في أسوأ الأحوال . الحدود الدنيا من الإيمان وأركان الإسلام ، إن لم يكن في مجموعهم ففي غالبيتهم . ولم يجعل الله لأحد أو لفئة غليهم سلطانا ،فمن ظهر ليدعي تمثيل الأمة واحتكار الحقيقة فهذا ادعاء للسلطان على الأمة بغير وجه حق يبرر به استخدام العنف في المعارضة أو في الحكم ، واستخدام العنف هو أكبر تجسيد لنفي الآخر إذ يبدأ نفيه فكريا ثم جسدبا . فإذا كانت الحركات الدينية الأكثر حكمة ومسؤولية ترفض العنف وتنبذه إلا أن ادعاء بعضها امتلاك الحقيقة والصواب من شأنه إعطاء مشروعية لمن هم أدنى حظا في الفكر والممارسة منهم أن يتناولوا العلاقة مع الغير بالمخالب والأظافر ، بل إن الغير حتى في داخل التنظيم ينبذ الأسلوب متى أبدى رأيا مخالفا إذ لاشرعية لتعدد أو تنوع في مثل هذا المناخ الفكري المنغلق .

ونؤكد ما سبق ذكره فنقول : إن ديننا يقوم على حاكمية كتاب ، وعالمية خطاب ، وشريعة تخفيف ورحمة ، ونبوة خاتمة وإدراك هذه الأبعاد يتطلب وعيا وإرادة على مستوى جماعي ، فنحن في ظلمات مركبة ولدينا نور مركب يتطلب جهدا بشريا مركبا ، فلا مجال لحزبية ضيقة ، ولا لحلول أحادية أو حزبية في هذه الأمة .

الخلاصة

إذا أردنا أن سنلخص ونحرر ما ذكرناه مجملا من الأبعاد الغائبة عن فكر وممارسات بعض الحركات الإسلامية فيمكن أن تقول :

إن لأمتنا مقومات أساسية لابد من أخذها بعين الاعتبار عندما نحاول تبين الأبعاد الغائبة عن حركات البعث والإحياء الإسلامي من منطلق غسلامي بصورة خاصة ؛ ويمكن تلخيص هذه المقومات في أمور هي : حاكمية وهمية الكتاب الكريم المكنون المجيد ، وعالمية الخطاب ، وشرعة التخفيف والرحمة ، وختم النبوة ، والجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون .

وهذه الأمور تحتم على الأمة الحاملة له لهذه الرسالة أن تكون ذات وعي وإرادة جماعية أ وأمتية لمتطلبات كل بعد ، وكيفية عكسه على الحركة والجهد البشري والواقع والصيرورة التاريخية . وإذا أردنا أن نبين أهم معالم أزمة " الحركات الإسلامية المعاصرة " ، وأبرز الأبعاد الغائبة عنها في نقاط فيمكن أن نلخصها بما يلي :

(أ) تحول هذه الحركات . منذ اجتياح الفكر الحزبي لها . إلى تنظيمات مفارقة للأمة . ولذلك سهل على الآخرين محاصرتها وعزلها عن جسم الأمة ، وضربها في كثير من المواقع .

(ج) وقد أدى ذلك الخلط بين الإلهي والبشري إلى ادعاء البعض امتلاك الحقيقة ، حيث استعار البعض حرمة وقداسة النص الديني وأسقطها بشكل أو بآخر على فكره واجتهاده البشري ، كما استعار إنجازات الواقع التاريخي وحولها إلى رصيد له من خلال دعوى إنه وحده امتداد لذلك الواقع التاريخي أو تمثيل له .

(د) توهُّم البعض استغناءه عن الجهد والاجتهاد البشري والفكري ما دامت نصوص القرآن العظيم والسنة النبوية في متناول يديه ، ولم يفرق بين الوحي والفهم البشري له ، وفقد القدرة على إنتاج فقه التدين أو الربط بين النص والواقع.

وبعض هذه التنظيمات قد أعلن تنظيمه قبل أن يحدد عالم أفكاره ، فصار إلى تناول الأفكار من الواقع أو من التراث بشكل عشوائي وانتقائي ليلبي متطلبات التنظيم والحركة اليومية بدلا من أن يضبط بالفكر السليم حركة التنظيم .

(هـ) أدت بعض الأمور والأخطاء الفكرية إلى أن تختزل بعض الأشكال التنظيمية للأمة في التنظيم وعناصره ، كما اختزلت الإسلام كله في برنامج التنظيم ومشروعه السياسي ، وعزز بذلك الفهم الخاطئ حقه في الأحادية الفكرية والتنظيمية وامتلاك الحقيقة والتمايز عن جسم الأمة .

(و) إن كثيرا من هذه الحركات . رغم تأكيدها الدائم على التمسك بالنص القرآني والسنة . لم تستطع أن تحدد لنفسها مناهج مناسبة تمثل الوعي على خصائص الإسلام المنهجية في العقيدة والشريعة . والمنهج حجر الزاوية في بناء خطابها الإسلامي المنهجي الشامل القادر على البلوغ بالرسالة إلى غايتها والوصول بها إلى مداها .

والحقيقة أنَّا ومنذ بداية احتكاكنا بالغرب والخطاب الإسلامي المطروح يراوح بين المد والجزر ، والإقدام والإحجام . فهو في الفترات التي تتطلب تعبئة شاملة للأمة لمواجهة عدو خارجي يقوى ويزدهر في تعبئة قوى الأمة وحشدها ، فإذا جاءت فترات البناء والإنماء والشهود الحضاري بدا خطابا جزئيا ضعيف القدرة على إيجاد الفاعلية الحضارية لدى الأمة أو تحقيق الدافعية لها نحو البناء بمثل ما حققه في عمليات المقاومة ، وهدم كيان المستعمر واحتلاله . وقد شكل ذلك ما يشبه الظاهرة العامة في معظم بلاد المسلمين ولذلك فإن التذكير بخصائص الخطاب الإسلامي كلها ، وجعلها في متناول عقول وأذهان العلماء والباحثين قد يساعد على تصحيح صيغة الخطاب الإسلامي ومضمونه ليستطيع الاستجابة لسائر الظروف ومواجهة مختلف التحديات .

openalkanaq.com

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة أنشئت وسجلت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري(1401هـ .1981م) لتعمل على :

. توفير الرؤية الإسلامية في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.

ـ استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية من خلال جهود إسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية ومعالجة قضايا الفكر الإسلامي .

ـ إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانية وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته .

ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها :

- عقد المؤتمرات والندوات العلمية والفكرية المتخصصة .
- دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي ونشر الإنتاج المتميز .
- توجيه الدراسات العلمية والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة .
- توجيه الدراسات العلمية والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة .

وللمعهد عدد من المكاتب والفروع في كثير من العواصم العربية والإسلامية وغيرها يمارس من خلالها أنشطته المختلفة كما أن له اتفاقات للتعاون العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية الإسلامية والغربية وغيرها في مختلف أنحاء العالم .

The International Institute of Islamiic Thought
555 Grove Street (P.O. Box669)
Herndon , VA 22070 – 4705 U.S.A
Tel : (703) 471- 1133
Fax : (703) 471 – 3922
Telex : 901153 IIIT WASH

openkandil.com